

نماذج من الرقي الأخلاقي

(١٥)

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم





مواقف في العدالة والمسؤولية

(١)





من أمثلة عدل النبي ﷺ

من ذلك ما أخرجه الحافظ ابن
ماجه من حديث أبي سعيد الخدري
- رضي الله عنه - قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ
يتقاضاه ديناً كان عليه، فاشتد عليه
حتى قال له: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِلَّا
قضيتني، فانتهره أصحابه وقالوا:
ويحك تدري من تكلم؟ قال: إني
أطلب حقي، فقال النبي ﷺ: «هلا
مع صاحب الحق كنتم؟» ثم أرسل
إلى خولة بنت قيس فقال لها: «إن
كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا



تمرنا فنقضيك» فقالت: نعم بأبي أنت
يا رسول الله، قال: فأقرضته، ففضى
الأعرابي وأطعمه، فقال: أوفيت
أوفى الله لك، فقال: «أولئك خيار
الناس إنه لا قُدُسَتْ أمة لا يأخذ
الضعيف فيها حقه غير متعتع» وقال
البوصيري: إسناد صحيح^(١).
فهذا حديث عظيم يبين اتصاف

(١) سنن ابن ماجه رقم ٢٤٢٦ .



النبي ﷺ بأعلى درجات التواضع
والعدالة، فعلى الرغم من سوء أدب
ذلك الأعرابي فإن رسول الله ﷺ لم
يغضب عليه، بل أنكر على الصحابة
- رضي الله عنهم - حينما انتهروا
ذلك الأعرابي وأرشداهم إلى أن
يكونوا مع صاحب الحق الذي
يطلب حقه وإن أساء الأدب، ولم
يطلب من ذلك الأعرابي أن يمهل،
بل اقترض من تلك الصحابة ما



أدى به ذلك الدين.

ولقد توج النبي ﷺ ذلك الدرس
العملي البليغ بهذا التوجيه العالي «إنه
لا قُدُسَتْ أمة لا يأخذ الضعيف فيها
حقه غير متعتع» حيث أفاد بأنه من
حق صاحب الحق أن يأخذ حقه من
غير أن يُمنع ولا أن توضع في طريقه
العوائق، وأن الأمة التي يحال فيها
بين صاحب الحق والحصول على
حقه بسهولة ويُسر أمةٌ لا تستحق



التقديس والاحترام.

ومن ذلك ما أخرجه الحافظ
الطبراني من حديث خولة بنت قيس
امراة حمزة بن عبد المطلب رضي الله
عنهما قالت: كان على رسول الله ﷺ
وسق من تمر لرجل من بني ساعدة،
فأتاه يقتضيه، فأمر رسول الله ﷺ
رجلاً من الأنصار أن يقتضيه، فقضاه
تمرًا دون تمره فأبى أن يقبله، فقال:
أترد على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم،



ومن أحق بالعدل من رسول الله ﷺ،
 فاكثلت عينا رسول الله ﷺ
 بدموعه، ثم قال: صدق، ومن أحق
 بالعدل مني؟ لا قدّس الله أمة لا
 يأخذ ضعيفها حقه من شديدها ولا
 يتعتعه، ثم قال: يا خولة عُدِّيهِ
 واقضيه، فإنه ليس من غريم يخرج
 من عند غريمه راضياً إلا صلت عليه
 دواب الأرض ونون البحار، وليس
 من عبد يلوي غريمه وهو يجد إلا



كتب الله عليه في كل يوم وليلة إنَّما». ذكره الحافظ المنذري وقال:
إسناده جيد^(١).

صلى الله عليك يا رسول الله، يا
أرحم الناس وأعدلهم، يا من تدمع
عيناه يوم أن شاهد ذلك الموقف
المؤثر من رجل يطلب الكمال في

(١) الترغيب والترهيب، ٣/ ٢٧٠.

حقه، وآخر يريد أن يتوصل بها
لرسول الله ﷺ من حق عظيم وتقدير
بالغ إلى أن يهضم ذلك الرجل حقه
الكامل، فأنكر ﷺ ذلك وأمر بأن
يُقضى حقه كاملاً، وأتخف أمته
بتوجيهها نحو الكمال الذي تحوز به
القداسة، وذلك بأن يؤخذ لضعيفها
الحق من قوياها، كما ذكرَّ الغرماء
بالسعي نحو إرضاء غرمائهم
ليحوزوا على دعاء دواب الأرض



وحيتان البحار، وحذر من مماثلة
الغرماء لأصحاب الحقوق، وذلك
ببيان أن المماطل يكسب نفسه الإثم
الذي يكتب عليه كل يوم وليلة.

ومن أمثلة عدل النبي ﷺ
ما أخرجه محمد بن إسحاق قال :
وحدثني حبان بن واسع بن حبان
عن أشياخ من قومه « أن رسول الله
ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر،



وفي يده قِدْحٌ ^(١) يعدل به القوم، فمر
بسواد بن عُزَيَّة، حليف بني عدي بن
النجار وهو مُسْتَتِل من الصف ^(٢)
فطعن في بطنه بالقِدْح، وقال: استو
ياسواد، فقال يا رسول الله أوجعتني،
وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني،
قال فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه

(١) القِدْح بكسر القاف العصا الصغيرة.

(٢) أي متقدم عليه .



وقال: اسْتَقْدُ، قال: فاعتنقه فقبَّل
بطنه، فقال: ماحملك على هذا
ياسواد؟ قال: يارسول الله، حضر
ماترى فأردت أن يكون آخر العهد
بك أن يمسّ جلدي جلدك، فدعا له
رسولُ الله ﷺ بخير^(١).

وهذا الموقف من سواد بن غزّية
رضي الله عنه يدل على شدة تعلقه

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٠.

برسول الله ﷺ وكلفه بمحبته، وهكذا
كان كل الصحابة رضي الله عنهم.
وكون النبي ﷺ كشف بطنه له
ليستفيد منه يعدُّ مثالا على العدالة
الكاملة التي كان يتصف بها رسول
الله ﷺ، وهو في ذلك يعدُّ قدوة عليا
لجميع الولاة الذين يتولون شيئا من
أمر الأمة في إنصاف أفراد رعيته
من أنفسهم، ومن غيرهم من الكبراء
من باب أولى.



موقف لرسول الله ﷺ في مراعاة حقوق الأمّة:

أخرج الإمام أبو داود^(١) من
حديث عائشة رضي الله عنها قالت:
لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم
بعثت زينب في فداء أبي العاص بهال
وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند
خديجة أدخلتها بها على أبي العاص،

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٠.

قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها
رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن
تطلقوها أسيرها وتردوا عليها الذي
لها، فقالوا: نعم^(١).

وهذا موقف عظيم من رسول
الله ﷺ، فقد كان هو الحاكم والامر
والناهي، وكان باستطاعته أن يأمر

(١) سنن أبي داود، رقم ٢٦٩٢.

بفك أسره ورد تلك القلادة من غير
أن يعرض الأمر لأخذ موافقة
الصحابة رضي الله عنهم، ولكن الله
تعالى اصطفى نبيه ﷺ ليكون ممثلاً
للقيمة في مكارم الأخلاق، حيث إنه
القدوة العليا لأمته في تنفيذ شريعة
الله تعالى.

وإذا كان هذا السلوك منه وهو
نبي معصوم فكيف بالمسؤولين من
البشر العاديين إذا استبدوا بالأمر من



غير مشورة ولا اعتبار لأصول
السياسية الشرعية؟!!



من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه
موقفه في تقرير العدل :

أخرج محمد بن إسحاق قال:
حدثني الزهري قال: حدثني أنس
ابن مالك رضي الله عنه في بيانبيعة أبي بكر
الصديق رضي الله عنه بالخلافة قال:
فتكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه
بالذي هو أهله ثم قال: أما بعد أيها
الناس فإني قد وليت عليكم ولست
بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن
أسأت فقوموني، الصدق أمانة
والكذب خيانة، والضعيف فيكم



قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن
شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي
حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ^(١).
وذكره الحافظ ابن كثير وقال:
وهذا إسناد صحيح ^(٢).
فقد استفتح أبو بكر الصديق
رضي الله عنه خلافته بهذه الخطبة

(١) سيرة ابن هشام ٤/٤٥٦.

(٢) البداية والنهاية ٦/٣٠٥-٣٠٦.

البليغة الجامعة التي قرر فيها موازين
العدالة والرحمة بين الحاكم
والمحكوم، وقد ضمّن هذه الخطبة
عزمه على قطع أهم أسباب الظلم
وهو تسلط الكبار والأقوياء على
الصغار الضعفاء، فالقوي الذي
اعتز بباله وشرفه ومنصبه فجعل من
ذلك وسيلة لظلم الضعفاء
المغمورين وأخذ حقوقهم يصبح في
نظر أبي بكر وسياسته ضعيفا



مسلوب القوة مجردا من أسباب
التعاضد حتى يؤدي حقوق الناس،
وإن النظر إلى الكبراء المتغترسين
بنظرة الاستخفاف والإذلال تجعلهم
يتجردون من سلاحهم الذي
استعزوا به على الضعفاء، وإذا بطل
مفعول هذا السلاح فإنهم سرعان
ما يخضعون للعدل ويؤدون ما
جحدوه من حقوق الآخرين.
أما الضعيف الفقير المستذل فإنه



في نظر أبي بكر وسياسته قوي حتى
يأخذ حقه له، وإن الذي يحول بين
الضعيف ومحاولة المطالبة بحقه هو
مايتوالى عليه من معاملات الإهانة
والإذلال من الكبراء، فهو مايزال
يتلقى الإهانات النفسية منهم حتى
يصل إلى مرحلة اليأس من حصوله
على حقه، فإذا رأى من الحاكم إعزازا
له واعترافا بحقه في المطالبة وتسهيلا
لسبل الوصول إلى أخذ حقه فإنه



ينهض للمطالبة بحقه قويا غير مبال
بغطسة الكبراء وتعاضمهم.
فبهذا كانت هذه الخطبة تحقيقا
للتوازن بين سلوكيات أفراد
المسلمين وتقريبا بين طبقات
المجتمع، وإزالة للفجوة التي تفصل
بين الأقوياء والضعفاء وضمانا
لوصول الحقوق إلى أصحابها.
ومن ذلك ما أخرجه الحافظ
اليهقي من حديث عبد الله بن عمرو



ابن العاص: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنهم قام يوم الجمعة فقال: إذا كان بالغداة فاحضروا صدقات الإبل نقسم، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن، فقالت: امرأة لزوجها: خذ هذا الخنطام لعل الله يرزقنا جملاً، فأتى الرجل فوجد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد دخلا إلى الإبل فدخل معها فالتفت أبو بكر فقال: ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخنطام فضربه،



فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا
بالرجل فأعطاه الخطام وقال: استقد،
فقال له عمر: والله لا يستقيد،
لا تجعلها سنة، قال أبو بكر: فمن لي
من الله يوم القيامة؟ فقال عمر:
أرضه، فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه
براحلة ورحلها وقطيفة وخمسة دنانير



فأرضاه بها^(١).

فهذا مثل من عدل أبي بكر
الصديق رضي الله عنه، حيث طلب
من ذلك الرجل أن يضربه بالخطام
بدلاً من ضربه إياه، مع أن ذلك
الرجل قد ارتكب مخالفةً سبق
التحذير منها فاستحق العقوبة على

(١) كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال
١٢٧/٣.

ذلك، ومع هذا فإن أبا بكر خشي من
القصاص يوم القيامة، حيث سيكون
بالحسنة بدلًا من الضرب، فأراد أن
يملك ذلك الرجل من ضربه، فكان
في رأي عمر مخرج من ذلك، حيث
تم إرضاء ذلك الرجل فحصل له
أكثر مما كان يؤمل من تلك
الصدقات.

وهذا الذي جرى من أبي بكر
نوع نادر من الإحساس مبعثه



تضخم النظر إلى الآخرة إلى جانب
ضآلة النظر إلى الدنيا، وهذا الميزان
الدقيق هو الذي يبعث على العدل
والتواضع والرحمة وسائر مكارم
الأخلاق.



من مواقف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه
مثل من عدالته في الحكم:

أخرج الحافظ ابن عساكر من
خبر الحرمازي قال: كتب عمر بن
الخطاب رضي الله عنه إلى فيروز
الدلمي^(١): أما بعد فقد بلغني أنه
شغلك أكل اللباب بالعسل، فإذا أتاك

(١) هو أحد أبناء فارس الذين حكموا اليمن.

كتابي هذا فأقدم على بركة الله، فاغز
في سبيل الله، فقدم فيروز فاستأذن
على عمر فأذن له فزاحمه فتى من
قريش، فرفع فيروز يده فلطم أنف
القرشي، فدخل القرشي على عمر
مستدماً، فقال له عمر: من فعل
بك؟ قال: فيروز وهو على الباب،
فأذن لفيروز بالدخول فدخل، فقال:
ما هذا يا فيروز؟ قال: يا أمير المؤمنين
إننا كنا حديث عهد بملك، وإنك



كتبت إلي ولم تكتب إليه، وأذنت لي
بالدخول ولم تأذن له، فأراد أن يدخل
في إذني قبلي، فكان مني ما أخبرك،
قال عمر رضي الله عنه: القصاص،
قال فيروز: لا بد، قال: لا بد، فجثي
فيروز على ركبتيه وقام الفتى ليقص
منه، فقال له عمر: على رسلك أيها
الفتى، حتى أخبرك بشيء سمعته من
رسول الله ﷺ، وسمعت رسول الله
ﷺ ذات غداة وهو يقول: قُتل الليلة



الأسود العنسي الكذاب، قتله العبد
الصالح فيروز الديلمي، أفتراك
مقتصبا منه بعد إذ سمعت هذا من
رسول الله ﷺ؟ قال الفتى: قد عفوت
عنه بعد إذ أخبرني عن رسول الله
ﷺ بهذا، فقال فيروز لعمر: أفترى
هذا مخرجي مما صنعت إقرارى له
وعفوه غير مستكره؟ قال: نعم، قال
فيروز: فأشهدك أن سيفي وفرسي
وثلاثين ألفا من مالي هبة له، قال:



عفوت مأجورًا يا أخا قریش
وأخذت مالاً^(١).

فهذا مثل من أحكام أمير
المؤمنين عمر العادلة في المساواة بين
الناس في القصاص، كبيرهم
وصغيرهم أميرهم ومأمورهم، فهذا
الأمير فيروز الديلمي أخذ منه

(١) تاريخ دمشق ٤٩/٢٢-٢٣.

الغضب مأخذه.

وكان يحمل شيئاً من رواسب
الاعتزاز بالسلطة فأقدم على لطم
ذلك الرجل، ولم يكن مقام فيروز
الرفيع وجهاده المشكور بالذي يجعل
عمر يتغاضى عنه، لأن ذلك يترتب
عليه ظلم المعتدى عليه، فحكم
بالقصاص، ولكنه مع ذلك حفظ
لذلك الأمير بلاءه في الجهاد في سبيل
الله تعالى الذي ترتب عليه ثناء النبي



فشفع له عند ذلك الفتى حتى
عفا عنه.

وموقفٌ يذكر لفيروز حيث
أعطى ذلك الرجل تلك العطايا
الجزيلة مقابل عفوه عنه.

ومن أمثلة عدالة أمير المؤمنين
عمر رضي الله عنه خبره مع القبطي
الذي ضربه ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه
فقد أخرج ابن عبد الحكم من خبر
أنس بن مالك رضي الله عنه: أن



رجلا من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين عائدٌ بك من الظلم، قال: عذت معاذًا، قال: سابتُ ابن عمرو ابن العاص فسبقتَه فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بابنه معه، فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط،



ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين.
قال أنس: فضرب، والله لقد
ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع
عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال
للمصري: ضع على صلعة عمرو،
فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي
ضربني وقد استقدت منه فقال عمر
لعمر: مُذْكم تَعَبَّدتم الناس وقد
ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!



قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم
يأتني ^(١).

فهذا موقف عظيم في العدل،
أنصف به أمير المؤمنين عمر رضي الله
عنه رجلا من أهل مصر من ظالمه ابن
حاكم مصر.

لقد كان عمرو بن العاص رضي

(١) منتخب كنز العمال ٤/٤٢٠.

الله عنه مشهورًا بالعدل والحكمة،
ولكن ابنه استغل مكانة أبيه فاعتدى
على ذلك المصري، ورفع شعار
العصية، حيث اعتز بنسبه وجاه
أبيه، فاعتبر أنه من طائفة الأكرمين
وأن ذلك المصري من طائفة الأذلين،
وحيث إنه لا استعباد في الإسلام إلا
في حال الحرب فإن أمير المؤمنين عمر
رضي الله عنه قد فزع من سماع تلك
الكلمة التي تنذر بخطر نشوء الطبقية



في المجتمع الإسلامي، فلذلك كان
علاجه لتلك الظاهرة الخطيرة حازما
وحاسما.

إن الناظر في هذه القضية لأول
وهلة يرى غرابة ذلك الحكم، حيث
تم استدعاء والي مصر من أجل تلك
القضية الصغيرة مع ما يترتب على
ذلك من مشقة السفر واحتمال تأخير
بعض الأحكام التي لا يبت فيها إلا
عمرو نفسه، وكان يكفي أن يتم



استدعاء صاحب القضية وهو ابن
عمرو، ولكن أمير المؤمنين عمر كان
يعلم أن ابن عمرو ما كان له أن
يستطيل على الناس إلا بجاه أبيه،
ولذلك أمر عمر المصري بأن يضرب
عمراً كذلك، فأراد عمر بذلك أن
يقرر العدالة في أبلغ صورها، وذلك
بحضور صاحب القضية وأبيه الذي
انخدع ابنه بسلطانه فقال هذه الكلمة
العظيمة التي أصبحت مثالا لكمال



العدل والإنصاف «مُذْكُمْ تَعَبَّدْتُمْ
الناس وقد ولدتهم أمهاتهم
أحرارًا؟!».

ولاشك أن تلك الكلمة
العظيمة كان لها مردود كبير في
الدعوة إلى الإسلام، فإنها ترفع من
معنوية جميع المصريين وكل الشعوب
الذين تبلغهم، حيث أظهرت ما يدعو
إليه الإسلام من محاربة كل أنواع
العصية وإقرار المساواة بين الناس.



وهكذا حوّل أمير المؤمنين عمر
عدالة الإسلام إلى واقع تطبيقي
خلّده التاريخ حتى صار المسلمون
في كل عصر يذكرون به عدالة
الإسلام، ورحم الله أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها حينما قالت في
وصف عمر: كأنما خلق للإسلام.

ومن روائع أمير المؤمنين عمر
في العدل ما أخرجه المؤرخ أبو زيد
عمر بن شبّة من خبر الحسن بن أبي



الحسن البصري قال قال رجل لعمر
رضي الله عنه: اتق الله يا أمير
المؤمنين، فوالله ما الأمر كما قلت:
قال: فأقبلوا على الرجل فقالوا:
لا تألت^(١) أمير المؤمنين، فلما رآهم
أقبلوا على الرجل قال: دعوهم فلا
خير فيهم إذا لم يقولوها لنا، ولا خير

(١) أي لا تتقص .



فينا إذا لم تُقَلِّ لنا^(١) .

فهذه كلمة عظيمة من أمير
المؤمنين عمر رضي الله عنه قرر فيها وجوب
التناصح بين الحاكم والمحكومين،
فلا خير في شعوب تداهن في دينها
ولا تقول كلمة الحق، ولا خير في ولاية
يخشاهم الناس ولا يتجرؤون على أن

(١) تاريخ المدينة المنورة / ٧٧٢ .



يقولوها لهم، وإذا كانت هذه الكلمة
قد قيلت لأبي العدل أمير المؤمنين
عمر فكيف يستعظم أحد أن يقال
لن هم دونه في ذلك بمراحل؟!
ومن ذلك ما أخرجه الحافظان
ابن منده وأبو نعيم من خبر عبد
الملك بن يعلى الليثي أن بكر بن
شداخ الليثي رضي الله عنه - وكان
ممن يخدم النبي ﷺ وهو غلام - لما
احتلم جاء إلى النبي ﷺ فقال:



يارسول الله إني كنت أدخل على
أهلك وقد بلغت مبلغ الرجال، فقال
النبي ﷺ: اللهم صدّق قوله ولقّه
الظفر، فلما كان في ولاية عمر رضي
الله عنه وُجد يهودي قتيلا فأعظم
ذلك عمر وجزع وصعد المنبر فقال:
أفيما ولاني الله واستخلفني يُفتك
بالرجال، أذكّر الله رجلا كان عنده
علم إلا أعلمني، فقام إليه بكر بن
شداخ فقال: أنا به، فقال: الله أكبر
بؤت بدمه فهات المخرج، فقال: بلى،



خرج فلان غازيا ووكلني بأهله،
فجئت فوجدت هذا اليهودي في
منزله وهو يقول:
وأشعث غرّه الإسلام مني
خلوتُ بعرسه ليل التمام
إلى أن قال:
فصدّق عمر رضي الله عنه قوله،
وأبطل دمه بدعاء النبي ﷺ^(١).

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ١٣/٧.

وهذا مثل آخر من اهتمام أمير
المؤمنين عمر رضي الله عنه بأهل
الذمة وغضبه لهم واتجاهه نحو
العدالة فيما بينهم وبين المسلمين.
وموقف غيره وشهامة من ذلك
الشاب بكر بن شداخ الليثي رضي
الله عنه، حيث أنقذ تلك المرأة
المسلمة من ذلك اليهودي، وحفظ
على زوجها المسلم الغازي أهله.
وأخيرًا موقف آخر لأمير



المؤمنين عمر حينما تذكّر دعاء النبي
ﷺ المذكور وعمل به في ذلك الموقف
الخرج، وهذا مثل من علمه الغزير
واهتمامه الكبير بتطبيق كلام النبي
ﷺ.

ومن ذلك تحاكمه مع أبيّ بن
كعب إلى زيد بن ثابت، وذلك فيما
أخرج أبو زيد عمر بن شبة من خبر
عامر الشعبي قال: كان بين عمر
وأبيّ بن كعب رضي الله عنهما



خصومة، فجعلها بينهما زيد بن ثابت
رضي الله عنه، فأتياه فضربا الباب
فخرج إليهما فقال: ألا أرسلت إليّ يا
أمير المؤمنين؟ فقال: في بيته يُؤتَى
الحكم، فدخلوا فقال: في الرحب
والسعة، وألقى وسادة، فقال - يعني
أمير المؤمنين - : هذا أول جورك،
فتكلموا فقال لأبي: بيتك، وإن رأيت
أن تُعفي أمير المؤمنين من اليمين
فافعل، فقال أبي: نعهيه ونصدقه،



فقال عمر رضي الله عنه: أَيْقُضَ عَلَيَّ
باليَمين ثم لا أحلف؟! فحلف، فلما
وجبت له الأرض وهبها لأبي^(١).

فهذا مثل عظيم في العدل، حيث
يجلس أمير المؤمنين عمر رضي الله
عنه أمام القاضي ليحكم بينه وبين
أحد أفراد رعيته ويأتي بنفسه إلى بيت

(١) تاريخ المدينة المنورة / ٧٥٥.



القاضي الذي كان - آنذاك - هو
المحكمة، حيث كان القضاة يحكمون
في بيوتهم أو في المساجد ونحو ذلك.
وحينما ألقى القاضي لأmir
المؤمنين الوسادة أنكر عليه ووصفه
بالظلم حيث لم يُسوِّ بينه وبين
خصمه، وفي هذا تثبيت لقاعدة من
أهم قواعد العدل في الحكم.
وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه
الذي ارتضاه أمير المؤمنين للحكم



في غاية الأدب وتقدير أهل الفضل،
حيث عرض على أبيّ بن كعب رضي
الله عنه أن يعفي أمير المؤمنين من
الحلف، كما أن أبيّاً كان قمة في الأدب
وحسن الخلق، حيث أعفى أمير
المؤمنين من الحلف وصدّقه، ولكن
عمر لم يرض بذلك بل أمضى ما حكم
به القاضي، وقد بلغ درجة عالية في
العفو والإحسان حينما تجاوز عن
ذلك ووهب الأرض لأبيّ بن كعب.



وإننا لنجد في هذه القضية مثلاً
عالياً من أخلاق الصحابة رضي الله
عنهم، فقد جرت هذه القضية بين
أعلى رجل في الدولة وبين رجل من
سادة المسلمين وعلمائهم، وهذا يبين
لنا أن وقوع الخلاف بين المسلمين
وتحاكمهم إلى القاضي الشرعي لا يُعدُّ
عيباً ولا منقصة، ماداموا محتفظين
بأخوتهم الدينية وأخلاقهم
الإسلامية، وإنما العيب والنقص فيما



يقع بين ضعفاء الإيمان من السب
والشتم والتهاجر والمخادعات
بسبب وقوع الخلاف بينهم، فهذا
يُعدُّ من الانحطاط الخلقي، بينما نجد
الصحابة رضي الله عنهم قد بلغوا
درجة عالية من الرقي الأخلاقي،
حيث لم يُفسد الخلاف أخلاقهم، ولم
يقطع جبل الوصل بينهم.

ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي
من خبر العتبي قال: بُعث إلى عمر



بِحُلِّ فقسّمها فأصاب كل رجل
ثوب، ثم صعد المنبر وعليه حلة،
والحلة ثوبان، فقال: أيها الناس ألا
تسمعون؟ فقال سلمان: لا نسمع،
فقال عمر: لم يا أبا عبد الله؟ قال:
إنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك
حلة، فقال: لا تعجل يا أبا عبد الله،
ثم نادى: يا عبد الله، فلم يجبه أحد،
فقال يا عبد الله بن عمر، فقال: لبيك
يا أمير المؤمنين، فقال: نشدتك الله،



الثوب الذي ائترت به أهو ثوبك؟
قال: اللهم نعم، قال سلمان: فقل
الآن نسمع ^(١).

فهذا خبر جليل يكشف لنا
صورة من واقع الصحابة في عهد
الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم،
وذلك في العلاقة بين الحاكم

(١) صفة الصفوة ١/ ٥٣٥.

والمحكومين، فأفراد الرعية يقولون
الحق علنا إذا رأوا أمرا مجانباً
للصواب غير هيايين ولا مترددين،
والحكام يسمعون كلمة الحق بصدور
رحبة وخضوع كامل للحق.

فأبو عبد الله سلمان الفارسي
رضي الله عنه كان جريئاً حينما رد على
أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه،
وكان في رده هذا يريد كشف الأمر
للناس، وإلا فإنه يعرف أن عمر



لا يفضل نفسه على أفراد الرعية
بشيء، وكان فقيها حينما ربط السمع
والطاعة بالعدل، وهذا يبين لنا أن
العدل مع الرعية من شروط وجوب
طاعتهم لحكامهم.

وأمر المؤمنين عمر كان
متواضعًا عادلًا حينما سمع كلام
سلمان بصدور رحب وسماحة عالية،
ولم يغضب من اعتراضه عليه.

فرضي الله عنهم ما أعظمهم



حكاما، وما أعظمهم محكومين!!
ومن ذلك طلبه رضي الله عنه
من سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
أن يقتص منه فقد ذكر الحافظ ابن
كثير من حديث الإمام الطبراني
بإسناده عن سعيد بن المسيب قال:
خرجت جارية لسعد [يعني ابن أبي
وقاص رضي الله عنه] يقال لها:
زبراء، وعليها قميص جديد
فكشفتها الريح، فشد عليها عمر



بالدرة، وجاء سعد ليمنعه فتناوله
عمر بالدرّة، فذهب سعد يدعو على
عمر، فتناوله الدرّة وقال: اقتص مني
فعفا عن عمر^(١).

فهذان مثلان من مكارم
الأخلاق يطبقهما عظيمان من عظماء
الصحابة رضي الله عنهم، فأُمير

(١) البداية والنهاية ٨ / ٧٦.

المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه تناول سعد بن أبي وقاص رضي
الله عنه بالعصا في ساعة غضب
بسبب تلك الجارية التي لم تلتزم
بالاحتشام، وسعد أقدم على الدعاء
على عمر في ساعة غضب مما حدث،
لكن أمير المؤمنين ندم على ما كان منه
نحوه فأعطاه العصا ليقصر منه،
حتى يخرج من دنياه ولم يحمل حقا
لمسلم، فهل يفعل سعد ذلك؟!



إنه لا يمكن أن يقدم على ضرب
أمير المؤمنين، ويكفيه نبلا وتواضعا
من أمير المؤمنين أنه أعطاه العصا
ليقتص منه، فكان العفو من سعد،
واطمأنت نفس عمر حينما عفا عنه
أخوه سعد رضي الله عنهما.



خبره مع الخطيئة :

ذكر الحافظ ابن كثير من خبر
زيد بن أسلم عن أبيه قال: أمر عمر
بإخراج الخطيئة من الحبس وقد كلمه
فيه عمرو بن العاص وغيره ، فأُخرج
وأنا حاضر فأنشأ يقول :

ماذا تقول لأفراخ بـذي مرخ
زغب الحواصل لأماء ولاشجر
غادرت كاسبهم في قعر مظلمة
فارحم هداك ملك الناس يا عمر



أنت الإمام الذي من بعد صاحبه
ألقى إليك مقاليد النُّهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها
لكن لأنفسهم كانت بك الخيرُ
فامنن على صبيّة بالرمل مسكنهم
بين الأباطح يغشاهم بها القدر
نفسى فداؤك كم بيني وبينهم
من عرض أودية يعمى بها الخبر
قال : فلما قال الخطيئة : ماذا
تقول لأفراخ بذي مرخ ، بكى عمر ،



فقال عمرو بن العاص: ما أظنّ
الخضرَاء ولا أقلّ الغبراء أعدل من
رجل يبكي على تركه الخطيئة^(١).

فهذا مثل من أمثلة كثيرة على
ما كان يتصف به أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه من الرحمة والشفقة ،

(١) البداية والنهاية ٩٧/٨ - ٩٨ ، والخضرَاء
هي السماء والغبراء هي الأرض .

حيث بكى حينما ذكر له الخطيئة
أبناءه الذين أصبحوا لاعائل لهم،
ولقد عدَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه ذلك
منتهى العدل وكماله، لأن مساوئ
الخطيئة الكثيرة تجعل قلوب الناس
عليه قاسية ، لأنه كان كثير الهجاء
للناس، وقد سجنه عمر رضي الله عنه لحماية
أعراض الناس منه .



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مواقف في العدالة والمسؤولية (١)
٧	من أمثلة عدل النبي ﷺ
٢٣	من مواقف أبي الصديق ﷺ
٣٤	من مواقف أمير المؤمنين عمر ﷺ